سَبيلُ الله

"قُل هٰذه سَبيلي أدعُوا إلى الله
عَلَى بَصِيرةٍ أنا ومَنِ اتَّبَعَني"
صدق الله العظيم

منهج الفوز الصحيح

ببيان

سبيل التوبة النصوح

تأليف

محمد بن علي بن حسين

المالكي المكي

ويليه :

١ — ردّ الإمام الغزالي على جواب الوزير السعيد نظام الملك.

٢ — تفسير قوله تبارك وتعالى : *(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)*

٣ — رغبة « عنوان البصري » للتقرب، من الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر رضي الله تبارك وتعالى عنهما .

﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تبارك وتعالى الذى يحب التوابين ويحب المتطهرين ،
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ،
وعلى آله وأصحابه المرشدين إلى قويم الدين ،
وعلى التابعين لهديهم ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد : فيقول عبد ربه ،
وأسير ذنبه « محمد بن على بن حسين المالكى » ، عامله الله ووالديه
وأشياخه وإخوانه المسلمين بلطفه الخفىّ ، وإحسانه الوفىّ :
هذا « منهج الفوز الصحيح ، ببيان سبيل التوبة النصوح » .
وهى رسالة لطيفة تحتوى على مقصد مهم ، وخاتمة فى مهمات الدين
أسأل الله تبارك وتعالى حسنها ، وأن يرزقنى
إخلاص العمل الموجب لرضاه ومحبته ، والنجاة من كل ملمّ ،
إنه على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير .

المقصد

اعلم — وفقنى الله وإياك لمرضاته — أن طريق محاسبة نفسك الأمارة بالسوء التى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله :

« حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا :
وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » :

ـــو أن تجتهد — قدر وسعك — فى خلاصها من الرهن
فيما اكتسبته من الخطايا (١) ، كما قال (٢) :

وَفِيمَا قَدْ كَسَبْتَ مِنَ الْخَطَايَا
رَهَنْتَ النَّفْسَ ، فاجْهَدْ فى الْخَلاصِ

---

(١) قوله : « فى خلاصها من الرهن فيما اكتسبته من الخطايا » ؛ ففى الخبر الصحيح :

« نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مَرْهُونَةٌ بِدَيْنِهِ ،
حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ »

قال ابن حجر فى « تحفة المنهاج » : أى محبوسة عن مقامها الكريم ، ولو فى البرزخ . وهو المدة التى بين الموت والبعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .. وفى حبسها به قولان للشافعية :

الأول : يحبس إن عصى بالدين ، سواء خلف وفاء أو لا .

والثانى : يحبس إن عصى به ، إن لم يخلف وفاء ..

والأول : لجمهور الأصحاب ، والثانى : رأى تفرد به الماوردى : اهـ المراد بتوضيح من « الشروانى » . إ هـ مؤلف .

(٢) قوله « كما قال إلخ » أى: بعض الأفاضل ضمن أربعة أبيات ، وهى :

أَيَا شابٌّ لِرَبِّ الْعَرْشِ عاصِى
أَتَدْرِى : ما جَزاءُ ذَوِى الْمَعاصِى
سَعِيرٌ لِلْعُصاةِ لَها ثُبُورٌ
فَوَيْلٌ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّواصِى —

والخلاص منها متعين ، لأن صاحب الدّين ، وهو مولاك ، لا يقبل الهدية ، وهديتك له تبارك وتعالى : تقربك إليه تعالى بالنوافل ، وقيام الليل ، حتى يحبك ، لقوله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى :

« وَلَا يَزَالُ عَبْدِى .. »

وفى رواية :

« وَما يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ ، حَتَّى أُحِبَّهُ »

الحديث (١)

- فَإِنْ تَصْبِرْ عَلَى النِّيرانِ فَاعْصِ
وَإِلَّا كُنْ عَنِ الْعِصْيانِ قاصِى

وَفِيما قَدْ كَسَبْتَ . . . .

الْبَيتَ . . . . إه مؤلف

---

(١) « قوله الحديث » أى: تمم الحديث بأن تقول : « ولا يزال عبدى يتقرب » وفى رواية : « يتحبب إلىّ بالنوافل » أى : التطوع من جميع صنوف العبادة « حتى أحبه » بضم أوله وفتح ثالثه مشدداً « فإذا أحببته» لتقربه إلىّ «كنت سمعه الذى يسمع به » إلخ يعنى : يجعل الله سلطان حبه غالباً عليه ، حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله ؛ عونا له على حماية هذه الجوارح، بحيث لا يعمل بها إلا عملا يرضاه ؛ أو هو كناية عن نصرة الله وتأييده ، وإعانته له فى كل أموره ، وحمايته سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه . وحقيقة القول : ارتهان كليات العبد بمراضى الرب على سبيل الاتساع .

والحاصل : « أن من تقرب إلى الله تبارك وتعالى بالفرض ، ثم النفل : =

فحينئـــذ يتعين عليك الخلاص مما اكتسبته من الخطايا ، بتوبتك منها توبة نصوحا ، لا تنكث بعـدها أبداً ، ليقبل منك الهدية فيحبك .
والسـبيل إلى ذلك هو ما أفاده الإمـام الغزالى فى « منهاج العابدين » ، مما خلاصته من مواضع : أن الذنوب ثلاثة أقســام :

أحدها : ترك واجبات الله سبحانه وتعالى عليك ، من صـــلاة وصوم وزكاة وكفارة أو غيرها ، فتقضى منها ما أمكنك .

والثانى : ذنوب بينك وبين الله تبارك وتعالى ، كشرب الخمر ، وضرب المزامير ، وأكل الربا ، ونحو ذلك ؛ فتندم على ذلك ، وتوطن قلبك على ترك العوْد إلى مثلها أبداً .

والثالث : ذنوب بينك وبين العباد ، وهذا أشكل وأصعب ، وهى أقسام : ما يكون فى المال ، وما يكون فى النفس ، وما يكون فى العرض ، وما يكون فى الحرمة ، وما يكون فى الدين ؛ فيجب عليك فيما يكون فى المال أن ترده إلى صاحبه إن أمكنك ، فإن عجزت لعـــدم أو فقر استحلات منه إن لم يكن ميتاً أو غائباً ، وإلا تصدقت عنه إن أمكنك ، وإلا فعليك بتكثير حسناتك ، والرجوع إلى الله تبارك وتعالى ، والتضرع والابتهال أن يرضيه عنك يوم القيامة .

وحقك فيما يكون فى النفس : أن تمكنه أو أولياءه من القصاص ، حتى يقتص منك أو يجعلك فى حلّ ؛ فإن عجزت رجعت إلى الله تبارك وتعالى بالابتهال إليه سبحانه وتعالى أن يرضيه عنك يـوم القيامة .

= قربه فرقاه من درجة الإيمان ، إلى مقام الإحسان ، حتى يصير ما فى قلبه من المعرفة يشاهده بعين البصيرة ، بحيث يمحى بامتلاء قلبه بمعرفته كل ما سواه ، فلا ينطق إلا بذكره ، ولا يتحرك إلا بأمره ؛ فإن نظر فبه ، أو سمع فبه ، أو بطش فبه ، وهذا هو كمال التوحيد » ، انظر كتابى « المقاصد الباسطة » . اهـ مؤلف .

وحقك فيما يكون فى العرض ، بأن اغتبت مسلماً أو بهته أو شتمته : أن تكذب نفسك بين يـــدى من فعلت ذلك عنده ، وأن تستحلّ من صاحبه إن أمكنك ولم تخش زيادة غيظ أو هيجان فتنة فى إظهار ذلك أو تجديداً ، وإلا رجعت إلى الله سبحانه وتعالى أن يرضيه عنك ، ويجعل له خيراً كثيراً فى مقابلته ، وتكثر من الاستغفار لصاحبه ، بأن تلازم استغفار « زروق » عقب كل فريضة خمس مرات ، وهو :

(أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِى وَلِوالِدَىَّ ،
وَلِأَصْحابِ الْحُقُوقِ عَلَىَّ ،
وَلِلْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ ، والْمُؤْمِنينَ والْمؤْمِناتِ ،
الْأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْواتِ) ..

فقد قال « زروق » : (إن من لازمه كذلك صار : مجاب الدعوة).
ويشهد له ما رواه الطبرانى فى كبيره ، عن أبى الدرداء يرفعه :

« مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
- كُلَّ يَوْمٍ - سَبْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً :
كانَ مِنَ الَّذِينَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ ،
وَيُرْزَقُ بِهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ . »

وما رواه فيه أيضاً عن « عبادة » يرفعه :

« مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ :
كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً . »

كما فى « الجامع الصغير » للسيوطى : قال « المناوى » فى كبيره :

« مَنِ ٱسْتَغْفَرَ اللهَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ،

بِأَيَّةِ صِيغَةٍ كانَتْ :

— وورد فى ذلك صيغ بألفاظ متقاربة —

أَمَرَ اللهُ الْحَفَظَةَ أَنْ تَكْتُبَ لَهُ فِى صَحِيفَتِهِ ،

بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً . »

قال « علىّ » كرم الله تبارك وتعالى وجهه :

« ٱلْعَجَبُ مِمَّنْ يَهْلِكُ وَمَعَهُ النَّجاةُ !

قِيلَ : ما هِىَ ؟ قالَ : الِاسْتِغْفارُ . »

وقال بعضهم :

« ٱلْعَبْدُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ ،

لا يُصْلِحُهما إِلَّا الِاسْتِغْفارُ [1] إ هـ .

---

(١) قوله «لا يصلحها إلا الاستغفار» يشهد له قوله تبارك وتعالى :

(اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) الآية .

فمن ثم روى « الشعبى » أن « عمر بن الخطاب »

— رضى الله تبارك وتعالى عنـه —

خرج يستسقى بالناس ، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع ،

فَقِيلَ لَهُ : « ما سَمِعْناكَ اسْتَسْقَيْتَ ! »

وحقك فيما يكون فى الحرمة بأن خنت مسلماً فى أهـله أو ولده أو نحـو ذلك : أن تتضرّع إلى الله سبحانه وتعـالى ليرضيه عنك ، ويجعل له خيراً كثيراً فى مقابلته ، لأن الغالب من الاستحلال منه فى ذلك وإظهاره له ، تولـد الفتنة والغيظ ؛ فإن أمنت ذلك – وهو نادر – استحللت منه :

- فقال: « طَلَبْنا الْغَيْثَ بِمَجادِيحِهِ الَّتِى يُسْتَنْزَلُ بِها الْقَطْرُ. »

ثم قرأ : *(اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا)* الآية .

والمجاديح : جمع مجدح ، وهونجم من النجوم ، وقيل : هو الدبران ، وقيل : هى ثلاثة كواكب كالأثافى ، تشبيهاً بالمجدح الذى له شعب ، وهى عند العرب من الأنواء الدالة على المطر ؛

فجعل « عمر » الاستغفار مشبهاً بالأنواء ، مخاطبة لهم بما يعرفون ، وكانوا يزعمون أن من شأنها المطر ، لا أنه يقول بالأنواء .

وعن « بكر بن عبد الله » :

« إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ذُنُوبًا : أَقَلُّهُمُ اسْتِغْفارًا ، وَأَكْثَرَهُمُ اسْتِغْفارًا : أَقَلُّهُمْ ذُنُوبًا » .

وعن « الحسن » : أن رجلا شكا إليه الجدب ،

فقال لَهُ : « اِسْتَغْفِرِ اللهَ » ،

وشكا إليه الآخر الفقر وقلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له «الربيع بن صَبيح» : (أتاك رجال يشكون أنواعا ، فأمرتهم كلهم بالاستغفار)، فتلا قوله تبارك وتعالى :

(اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا) الآية

كما فى تفسير « الخازن » لهذه الآية من سورة نوح :

وحقك فيما يكون فى الدّين بأن كفرت مسلماً ، أو بدعته ، أو ضلالته : أن تكذب نفسك بين يدى من قلت له ذلك ، وأن تستحلَّ من صاحبه إن أمكنك ، وإلا فالابتهال إلى الله تبارك وتعالى جداً ، والتندم على ذلك ، ليرضيه عنك ، وإلا فقد قال الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز :

(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ، فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ، وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) .

وجملة الأمر : أن ما أمكنك من إرضاء الخصوم تعمل به ، وما لا يمكنك ترجع فيه إلى الله سبحانه وتعالى بالتضرع والابتهال والتصدق ليرضيه عنك ؛ فيكون ذلك فى مشيئته سبحانه وتعالى يوم القيامة ، والرجاء منه تعالى بفضله العظيم وإحسانه العميم : أنه إن علم من قلبك الصدق فإنه يرضى عنك خصماءك من خزانة فضله ، ولا حكم ..

فَإِذا فَعَلْتَ ما ذُكِرَ ، فاذْهَبْ فاغْتَسِلْ ، واغْسِلْ ثِيابَكَ ،
وَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ كما يَجِبُ ،
وَضَعْ وَجْهَكَ عَلَى الْأَرْضِ فِى مَكانٍ خالٍ ،
لَا يَرَاكَ فِيهِ إِلَّا اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَى ،
ثُمَّ اجْعَلِ التُّرابَ عَلَى رَأْسِكَ ؛
وَمَرِّغْ وَجْهَكَ الَّذى هُوَ أَعَزُّ أَعْضائِكَ فى التُّرابِ ،
بِدَمْعٍ جارٍ ، وَقَلْبٍ حَزِينٍ ، وَصَوْتٍ عالٍ :

وَتَـذَكَّرَ ذُنـوبَكَ واحِـدًا واحِدًا ما أَمْكَنَكَ ..
وَتَلُومُ نَفْسَكَ الْعاصِيَةَ عَلَيْها ، وَتُوَبِّخُها ، وَتَقُولُ :
(أَمَا تَسْتَحِينَ يا نَفْسُ ؟! أَمَا آنَ لَكِ أَنْ تَتُوبِى ؟!
أَلَكِ طاقَةٌ بِعَذابِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ ؟!
أَلَكِ حاجَةٌ بِسَخَطِ اللهِ ؟!
وتَذْكُرُ مِنْ هٰـذا كَثِيرًا ، وَتَبْكِى ، ثُمَّ تَرْفَعُ يَدَيْكَ
إِلَىٰ الرَّبِّ الرَّحِيمِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ ، وَتَقُـولُ :
(إِلٰهِى : عَبْدُكَ الْآبِقُ رَجَعَ إِلَى بَابِكَ ..
عَبْدُكَ الْعاصِى رَجَعَ إِلَى الصلْحِ ..
عَبْدُكَ الْمُذْنِبُ أَتاكَ بِالْعُذْرِ ، فاعْفُ عَنِّى بِجُودِكَ
وَتَقَبَّلْنِى بِفَضْلِكَ ، وَانْظُـرْ إِلَىَّ بِرَحْمَتِكَ . ،
اَللّٰهُمَّ : اغْفِـرْ لِى ما سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ ،
واعْصِمْنِى فِيما بَقِىَ مِنَ الْأَجَلِ .
فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِيَدِكَ ، وَأَنْتَ رَبَّنا رَءُوفٌ رَحِيمٌ ؛
ثُمَّ تَدْعُو بِدُعاءِ الشِّدَّةِ ، وَهُـوَ :
[يا مُجَلِّىَ عَظائِمِ الْأُمُورِ ، يا مُنْتَهَى هِمَّةِ الْمَهْمُومِينَ ،
يا مَنْ إِذا أَرادَ أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ : *(كُنْ فَيَكُونُ)* ،

أَحاطَتْ بِنا ذُنُوبُنا .. أَنْتَ الْمَذْخُورُ :
يا مَذْخُورًا لِكُلِّ شِدَّةٍ ، كُنْتُ أَدَّخِرُكَ لِهٰذِهِ السَّاعَةِ ؛
فَتُبْ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ..]
ثُمَّ تُكْثِرُ مِنَ الْبُكاءِ والتَّذَلُّلِ والتَّضَرعِ ، وَتَقُولُ :
(يا مَنْ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، وَلا سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ..
يا مَنْ لا تُغْلِطُهُ كَثْرَةُ الْمَسائِلِ ..
يا مَنْ لا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحِّينَ ..
أَذِقْنا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ،
بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ..
ثُمَّ تُصَلِّيَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ عَلَيْهِ
وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ،
ثُمَّ تَسْتَغْفِرُ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ،
وَتَرْجِعُ إِلَىٰ طاعَةِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ، فَتَكُونَ قَدْ تُبْتَ
تَوْبَةً نَصُوحًا ، وَخَرَجْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ،
وَأَحَبَّكَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ ، وَلَكَ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوابِ ،
وَعَلَيْكَ مِنَ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ ، ما لا يُحِيطُ بِهِ

وَصْف الْواصِفِينَ ، وَحَصَلَ لَكَ الأَمْن والْخَلاص ،
وَنَجَوْتَ مِنْ غَضَبِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ، وَغُصَّةِ الْمَعاصِى
وبَلِيَّتِها فِى الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، بِدُون أَدْنَى تَرَدُّد ؛
إذْ كَيْفَ يَكُونُ مِنْكَ تَرَدُّدٌ فِى ذٰلِكَ ، و أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ :

« لَيْسَ بَعْدَ الْكُفْرِ ذَنْبٌ ، هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ » ،

لِقَوْلِهِ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ : *(إِنَّ اللهَ لايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ،
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)*

وَقَدْ قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ : *(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)* .

فَما ظَنُّكَ فِيما دُونَهُ ؟ .. فَمِنْ ثَمَّ قالَ بَعْضُهُمْ :

(إِنَّ الْعَبْدَ إِذا تابَ مِنْ ذُنُوبِهِ :
صارَتْ ذُنُوبُهُ كُلُّها حَسَناتٍ [1]) ،

ويشهد له ماالروى عن رسول الله صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال :

« التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ : كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ » .

---

(١) لِقَوْلِهِ تَبارَك وَتَعالَى :*(يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)*.

وفى رواية أخرى :

« إنَّ الْعَبْدَ إذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا : لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى يُذْنِبَ ذَنْبًا آخَرَ .. فَإذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ : لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى يُذْنِبَ ذَنْبًا آخَرَ ..

فَإذا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ خَمْسٌ مِنَ الذُّنُوبِ ـ فَإذا عَمِلَ حَسَنَةً واحِدَةً : يُكْتَبُ لَهُ خَمْسُ حَسَناتٍ ، وَجُعِلَ الْخَمْسُ عِوَضَ الْخَمْسِ الَّتِى هِيَ السَّيِّئاتُ ؛ فَيَصِيحُ عِنْدَ ذٰلِكَ إبْلِيسُ ، وَيَقُولُ :

(كَيْفَ أَسْتَطِيعُ عَلَى ابْنِ آدَمَ ؟ فَإنِّى وَإنْ أَجْتَهِدُ عَلَيْهِ : يُبْطِلُ بِحَسَنَةٍ واحِدَةٍ جَمِيعَ ما جَهِدْتُ » .

وعن « سعيد بن المسيب » فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ إنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾

قال : (هو الرجل يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب) . قيل : إلى متى هذا ؟

قال : (ما أعرف هذا إلا من أخلاق المؤمنين) ، كما فى « مخلاة العاملى » .

وفى تفسير ابن كثير . وقال ابن جرير : (والأولى فى الأوابين قول من قال : الأواب : هو التواب من الذنب ؛ الرجاع من المعصية إلى الطاعة ، عما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه) .

وهذا الذى قاله هو الصواب ، لأن الأواب يشتق من الأوب وهو الرجوع ، يقال : آب فلان إذا رجع ،

قال تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ (1)

وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان إذا رجع من سفر قال :

« آيِبُونَ ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، حَامِدُونَ » اهـ .

وحيث ظفرت بعمل ما ذكر بالتوبة النصوح ؛ فقد ظفرت بصلاح قلبك والتزود لمعادك ، وهو ما كان عليه اهتمام العلماء الراسخين في العلم ، العاملين به ، مثل : الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني رحمه الله تبارك وتعالى ، فقد قال الإمام الغزالى : بلغنا عنه أنه قال :

عوت الله سبحانه وتعالى ثلاثين سنة أن يرزقنى توبة نصوحاً ، ثم تعجبت فى نفسى فقلت : « سبحان الله ! حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة ، فما قضيت إلى الآن ؟ ! »

فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لى :

أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ أَتَدْرِى مَاذَا تَسْأَلُ اللهَ ؟

إِنَّمَا تَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُحِبَّكَ ؟

أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ جَلَّ جَلالُهُ :

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

أَفَهَٰذِهِ حَاجَةٌ هَيِّنَةٌ ؟] اهـ .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(1) أى : رجوعهم .

الخـاتمـة

أسأل الله حسنها من غير سابقة امتحان : فى مهمات :

﴿ المهم الأول ﴾

اعلم أن التوبة النصوح لما كان أمرها مهماً ، لما علمت من اهتمام الأئمة الأعلام مثل الأستاذ أبى إسحق الإسفراينى رحمه الله تبارك وتعالى بشأنها ، ومواظبتهم على طلب حصولها لهم من مولاهم ثلاثين سنة ، رغبة فى صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم ، وكان ضرر تأخيرها عظيماً ، من حيث إن أول الذنب قسوة ، وآخره والعياذ بالله شؤم وشقوة ، فقد روى ابن كثير عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ ،
فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ : قَسْوَةُ الْقَلْبِ ..
وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ : الْقَلْبُ الْقاسِى . »

وذلك لأنه يتولد منه جمود العين ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا ؛
وقد روى البزار عن أنس مرفوعاً :

« إنَّ مِنَ الشَّقَاءِ : جُمُودَ الْعَيْنِ ، وقَسْوَةَ الْقَلْبِ ،
وَطُولَ الْأَمَلِ ، والْحِرْصَ عَلَىٰ الدُّنْيَا » .

كما فى تفسير ابن كثير :

(كان من الواجب عليك رحمك الله تعالى : التيقظ من غفلتك ، وأن تجهد نفسك فى تحصيلها بما فى وسعك ، عسى أن تقلع من قلبك عرق الإصرار .. أما سمعت قول بعض الحكماء :

(يا هٰذا دَبِّرْ دِينكَ كَما تُدَبِّرُ دُنْياكَ ،

لَوْ عَلِقَ مِسْمارٌ بِثَوْبِكَ : رَجَعْتَ إِلَىٰ وَراءٍ لِتـخَلِّصَهُ ،
وَهٰـذا مِسْمارُ الْإِصْرارِ قَـدْ نَشِبَ بِقَلْبِكَ ،
فَـلَوْ عُـدْتَ إِلَىٰ النَّـدَمِ خُطْوَتَـيْنِ لَتَخَلَّصْتَ .
هَـيْهاتَ ! صبِيُّ الْـغَفْـلَةِ كُـلَّما حُـرِّكَ : نامَ ،
وَمَنْ رَقَّ لِبُـكاءِ الطِّـفْـلِ : لَـمْ يَقْدرَ عَلَىٰ فِطامِهِ :
والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْـهُ شَبَّ عَلَىٰ
حُبِّ الرَّضَاعِ ، وَإِنْ تَفْطِـمْهُ يَـنْـفَطِمِ
فاصْرِفْ هَـوَاهَا وَحَـاذِرْ أَنْ تُوَلِّـيَـهُ
إِنَّ الْـهَـوَىٰ مَا تَـوَلَّىٰ يُصْمِ أَو يَصِمِ
فَـعَلَـيْكَ أَنْ تُخَلِّصَ رَقَـبَـتَكَ مِنْ هٰذِهِ الْأَوْزارِ ،
وَأَلَّا تَـأْمَنَ قَساوَةَ الْـقَـلْبِ مِنَ الذُّنُوبِ ؛
وَأَنْ تَتَأَمَّلَ حالَكَ ، فَلَقَدْ قالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ :
إِنَّ سَـوادَ الْـقَـلْبِ مِنَ الذُّنُـوبِ ،
وَمِصْـداقُـهُ قَـوْلُهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ :
(بَل رَّانَ عَلَىٰ قُلُـوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُـونَ)
وَعَلامَةُ قَساوَةِ الْقَـلْبِ : أَن لَّا تَجِـدَ لِلذُّنُوبِ مَفْزَعًا ،
وَلا لِلطَّاعَةِ مَـوْقِـعًا ، وَلا لِلْمَـوْعِظَـةِ مَـنْجَعًا .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَحْقِرَ مِنَ الذُّنوبِ شَيْئًا ،
فَتَحْسَبَ نَفْسَكَ تائِبًا وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَىٰ الْكَبائِرِ ،
فَلَقَدْ بَلَغَنا عَنْ كَهْمَسٍ بْنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قالَ :
(أَذْنَبْتُ ذَنْبًا ، فَأَنا أَبْكِي عَلَيْهِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً) ،
قِيلَ : ما هُوَ يا أَبا عَبْدَ اللهِ ؟
قالَ : (زارَنِي أَخٌ لِي فِي اللهِ ، فاشْتَرَيْتُ لَهُ
سَمَكًا فأَكَلَ ، ثُمَّ قُمْتُ إِلَىٰ حائِطِ جارِي ،
فأَخَذْتُ مِنْهُ قِطْعَةَ طِينٍ ، فَغَسَلَ بِها يَدَهُ) ،
فَناقِشْ نَفْسَكَ وَحاسِبْها ، وَسارِعْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَبادِرْ ؛
فَإِنَّ الأَجَلَ مَكْتُومٌ ، والدُّنْيا غُرُورٌ ،
والنَّفْسَ والشَّيْطانَ عَدُوَّانِ !..
وَتَضَرَّعْ إِلَىٰ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ ، وابْتَهِلْ إِلَيْهِ ،
واذْكُرْ حالَ أَبِينا آدَمَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ،
وَحَمَلَهُ إِلَىٰ جَنَّتِهِ عَلَىٰ أَعْناقِ الْمَلائِكَةِ
لَمْ يُذْنِبْ إِلَّا ذَنْبًا واحِدًا ؛ فَنَزَلَ بِهِ ما نَزَلَ ،

حَتَّى رُوِىَ أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ قالَ لَهُ :

[يا آدَمُ ، أَىَّ جارٍ كُنْتُ لَكَ ؟]

قالَ : « نِعْمَ الْجارُ يا رَبِّى » ،

قالَ : [يا آدَمُ ، أُخْرُجْ مِنْ جِوارِى [1] ،

وَضَعْ عَنْ رَأْسِكَ تاجَ كَرامَتِى ،

فَإِنَّهُ لا يُجاوِرُنِى مَنْ عَصانِى] :

حَتَّى إِنَّهُ – فيما رُوِىَ – بَكَى عَلَىٰ ذَنْبِهِ مِائَتَىْ سَنَةٍ ،

حَتَّى قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ الْواحِدَ .

هٰذا حالُهُ مَعَ نَبِيِّهِ وَصَفِيِّهِ فِى ذَنْبٍ واحِدٍ ،

فَكَيْفَ حالُ الْغَيْرِ فِى ذُنُوبٍ لا تُحْصَى ؟!

وَهٰذا تَضَرُّعُ التَّائِبِ وابْتِهالُهُ ،

فَكَيْفَ بِالْمُصِرِّ الْمُتَعَسِّفِ ؟

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قالَ :

يَخافُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ

فَكَيْفَ تَرَىٰ حالَ مَنْ لا يَتُوبُ؟

---

(١) دونما تشبيه أو تمثيل أو تحييز ، والمراد : اخرج من جنتى . والله تبارك وتعالى أعلم ،

فإنْ تُبْتَ ثمَّ نقَضْتَ التَّوْبَةَ ،
وَعُدْتَ إِلَىٰ الذَّنْبِ ثانِيًا ، فَعُدْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مُبادِرًا ،
وَقُلْ لِنَفْسِكَ : لَعَلِّي أَمُوتُ قَبْلَ أَنْ أَعُودَ
إِلَىٰ الذَّنْبِ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، وَكَذٰلِكَ ثالِثًا وَرابِعًا !..
وَكَما اتَّخَذْتَ الذَّنْبَ وَالْعَوْدَ إِلَيْهِ حِرْفَةً ؛
فاتَّخِذِ التَّوْبَةَ أَيْضًا والْعَوْدَ إِلَيْها حِرْفَةً ،
وَلا تَكُنْ فِي التَّوْبَةِ أَعْجَزَ مِنْكَ فِي الذَّنْبِ ،
وَلا تَيْأَسْ ، وَلا يَمْنَعْكَ الشَّيْطانُ مِنَ التَّوْبَةِ
بِسَبَبِ ذٰلِكَ ، فَإِنَّهُ دَلالَةُ الْخَيْرِ ،
أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ صَلَّىٰ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ :
« خِيَارُكُمْ : كُلُّ مُفْتَنٍ تَوَّابٍ » ؟

أي : كثير الابتلاء بالذنب ، كثير التوبة منه ، والرجوع إلى الله جل جلاله بالندامة والاستغفار ، وتذكر قوله سبحانه وتعالى :

*(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ،
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ :
يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا)*

وكذا قوله تبارك وتعالى :

(إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)

فقد روى عن سعيد بن المسيب أنه قال :

(الأواب : هو الرجل يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ؛ قيل : إلى متى هذا ؟

قال : ما أعرف هذا إلا من أخلاق المؤمنين) ؛

كما تقدم ، فهذه هذه ، وبالله تبارك وتعالى التوفيق .

﴿ المُهِمُّ الثانى ﴾

فى تفسير البغوى والخازن لقوله تبارك وتعالى :

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ما خُلاصَتُهُ :

« إن فى معنى المجاهدة أقوالا مآلها :

إن الذين جاهـدوا أنفسهم على الصبر على الطاعات ،

بإتيانهم بها على الكمال ، بعلمهم وإخلاصهم وإقامتهم السنة ،

وعلى مخالفة الهوى باجتناب المنهيات والتوبة مما ارتكبوه منها :

(لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

أى : لنوفقنهم إلى الطرق المستقيمة التى توصل إلى رضا الله تبارك وتعالى :

(وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)

بالنصرة والعون فى دنياهم ، والمغفرة

فى عقباهم فى الآخرة ، وثوابهم الجنة » اهـ .

قلت : فمن ثم قال اليومى نقلا عن بعض الأئمة :

(لا يكون الشخص ولياً إلا بشروط أربعة :

الأول : أن يكون عارفاً بأصـول الدين ، حتى يفـرق بين الخالق والمخلوق ، وبين النبى والمتنبى : أى مدعى النبوة .

والثانى : أن يكون عالماً بأحكام الشريعة نقلا وفهماً ، بحيث لو أذهب الله تبارك وتعالى علم أهل الأرض لوجد عنده .

الثالث : أن يتصف بالمحمود من الأوصاف : كالورع والإخلاص فى كل عمـل .

الرابع : أن يلازم الخوف أبداً ، بأن لا يجد طمأنينة طرفة عين ، إذ لا يدرى : أهو من فريق السعادة أو من فريق الشقاوة ؟)) اهـ . بعض حذف ، أفاده الباجورى على كفاية العوام لشيخه الفضالى .

ويشهد لذلك قوله صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

« عَجِبْتُ لِطَالِبِ الدُّنْيَا ، وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ !..

وَعَجِبْتُ لِغَافِلٍ ، وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ !..

وَعَجِبْتُ لِضَاحِكٍ مِلْءَ فِيهِ ،

وَلَا يَدْرِي : أَرَضِيَ عَنْهُ ، أَوْ سَخِطَ ! . »

كما فى « الجامع الصغير » للسيوطى ، فلذا قال المناوى فى كبيره هنا : (قد شغل بما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالغصص ، ممزوج بنغص(١): إذا أضحك قليلا ، أبكى كثيراً ، وإن سرّ يوماً أحزن شهوراً . فيا عجبا من سفيه فى صورة حكيم ، ومعتوه فى مثال عاقل فهيم ، آثر الحظ الفانى الخسيس ، على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنة – عرضها السماء والأرض – بسجن آخره خراب وبوار ، وغايته نار وشنار ! .) اهـ .

---

(١) النقصان ، اكتمال أو عدم الشيء .

أى : أن الدنيا سعادتها غير مكتملة من جميع النواحى ، يشوبها النقص دائماً .

﴿ المهمُّ الثالثُ ﴾

مما جرب للحفظ من ارتكاب المعاصى :

تلاوة هذه الآيات العشر صباحاً عشر مرات :

الأولى : فى سورة البقرة :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

والثانية : فى سورة يونس :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) .

والثالثة : فى سورة هود :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

والرابعة : فى سورة الكهف :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) .

والخامسة : آخر سورة الكهف :

*(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا)* .

والسادسة : آخر سورة مريم :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا) .

والسابعة : فى سورة لقمان :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ)

والثامنة : فى سورة حمٓ (السجدة) :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)

والتاسعة : فى سورة البروج :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) .

والعاشرة : فى سورة (لم يكن) :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) .

والله تبارك وتعالى الموفق .

﴿ اَلْمُهِمُّ الرَّابِعُ ﴾

فى تفسير القاضى البيضاوى لقوله تبارك وتعالى :

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ).

« إنه روى عن « عثمان » رضى الله تبارك وتعالى عنه أنه سأل النبىّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عنها ، فقال :

« تَفْسِيرُها : لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ،

وسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ ،

وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ،

هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ،

بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ،

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

والمعنى : أن لله تبارك وتعالى هذه الكلمات ، يوحد ويمجد ، وهى مفاتيح خير السماوات والأرض ، من تكلم بها أصابه ذلك الخير) اهـ .

قال الخفاجى: « هو حديث ضعيف « فى سنده من لا تصح روايته » ، قال : والضعيف يعمل به فى الفضائل .

وقول ابن الجوزى : إنه موضوع غير مسلم بصحته ،

ومعنى قوله : « من تكلم بها أصابه ذلك الخير » هو أن إطلاق المقاليد على هذه الكلمات : أنها موصلة إلى الخير ، كما يوصل المفتاح إلى ما فى الخزائن ؛ فهو إشارة إلى وجه التجوّز » . اهـ بتصرف .

﴿ الْمُهِمُّ الْخامِسُ ﴾

فى تفسير القاضى البيضاوى لقوله تبارك وتعالى :

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)

أن « من » إما للبيان، والمراد ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم ، كالدواء الشافى للمرض ، فإن القرآن كله كذلك ، وإما للتبعيض ؛ والمعنى : أن منه ما يشفى من المرض كالفاتحة ، وآيات الشفاء ا هـ .

قال الخفاجى فى عنايته : هى ست :

الأُولى : *(وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)*

والثانيةُ : *(وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ)*

والثالثةُ : *(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)*

والرابعةُ :

(ونُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)

والخامِسَةُ : *(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)*

والسادسةُ : *(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ)* .

قال السبكى : (وقد جربت كثيراً) . وعن القشيرى أنه مرض له ولد يئس من حياته ، فرأى الله فى منامه ، فشكا له ذلك ، فقال له :

[اِجْمَعْ آياتِ الشِّفاءِ ، وَاقْرَأْها عَلَيْهِ ، أَوِ اكْتُبْها فِى إِناءٍ ، وَاسْقِهِ مِنْهُ ما مُحِيَتْ بِهِ] ،

ففعل ، فشفاه الله تبارك وتعالى .

والأطباء معترفون بأن من الأمور والرقى ما يشفى بخاصة روحانية ، كما فصله الأندلسى فى مفرداته ، ومن ينكره لا يعبأ به) اهـ بلفظه .

قلت : ولا سيما نفعه فى الأمراض المعنوية كأمراض القلب وجلب الخير ودفع الشر ، ففى حاشية الشيخ مصطفى العروسى على شرح القشيرية لشيخ الإسلام عن طبقات المناوى ، قال الشيخ أبو بكر محمد ابن على بن جعفر الكتانى رحمه الله تبارك وتعالى : [رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقلت : ادع الله أن لا يميت قلبى ،

فَقَالَ : (قُلْ فِى كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ :

« يَا حَىُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ » .)]

وقال أيضاً : كان فى رأسى وجع ، فرأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم ،

فَقَالَ : (أُكْتُبْ هٰذَا الدُّعَاءَ :

« اللّٰهُمَّ : بِثُبُوتِ الرُّبُوبِيَّةِ ،

وَبِعَظِيمِ الصَّمَدِيَّةِ ، وَبِسَطَوَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ ،

وبِقِدَمِ الْجَبَرُوتِيَّةِ (1) ، وَبِقُدْرَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ » .) اهـ .

---

(1) « قوله وبقدم الجبروتية » فى تفسير الخازن آخر سورة الحشر ، قال ابن عباس : الجبار : هو العظيم ، وجبروت الله عظمته ، فعلى هذا هو صفة ذات ، وقيل : هو من الجبر ، يعنى : الذى يغنى الفقير ، ويجبر الكسير ، فعلى هذا هو صفة فعل ، وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ، ويغنى كل فقير ، وقيل : هو الذى يجبر الخلق ، ويقهرهم على ما أراد ، اهـ المراد نقله من كلامه . =

وفى « المحلاة » للعاملى عن « الكشاف » ؛ قال النبى صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

« عَشَرَةٌ تَمْنَعُ عَشَرَةً :

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ : تَمْنَعُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ ..

وَسُورَةُ يٓس : تَمْنَعُ عَطَشَ الْقِيَامَةِ ..

وسُورَةُ الدُّخَانِ : تَمْنَعُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ ..

وَسُورَةُ الْوَاقِعَةِ : تَمْنَعُ الْفَقْرَ ..

وَسُورَةُ الْمُلْكِ : تَمْنَعُ عَذَابَ الْقَبْرِ ..

وَسُورَةُ الْكَوْثَرِ : تَمْنَعُ خُصُومَةَ الْخُصَماءِ ..

وَسُورَةُ الْكَافِرُونَ : تَمْنَعُ الْكُفْرَ عِنْدَ النزْع ..

وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ : تَمْنَعُ النِّفَاقَ ..

وَسُورَةُ الْفَلَقِ : تَمْنَعُ حَسَدَ الْحاسِدِينَ ..

وَسُورَةُ النَّاسِ : تَمْنَعُ الْوَسْوَاسَ . » إهـ ببعض إصلاح

= قلت : وينبنى على هذا صحة أن يقال هنا :

« وَبِقِدَمِ الْجَبْرِيَّةِ » أَوَ « بِقِدَمِ الْجَبَرُوتِيَّةِ » ، كما لا يخفى على ذى لب ، فافهم) إهـ مؤلف .

وفى « الجامع الصغير » للسيوطى : روى الديلمى فى « مسند الفردوس » والميدانى عن عمران بن حصين يرفعه :

« فِى كِتَابِ اللهِ ثَمانُ آياتٍ لِلْعَيْنِ :
الْفاتِحَةُ ، وآيَةُ الْكُرْسِىِّ » .

وفى كبير المناوى لفظ رواية الديلمى ، كما رأيته فى نسخة قديمة مصححة بخط الحافظ ابن حجر :

« فِى كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَمانُ آياتٍ ،
لا يَقْرَؤُها عَبْدٌ فِى دارٍ ،
فَتُصِيبَهُمْ فِى ذٰلِكَ الْيَوْمِ عَيْنُ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ :
فاتِحَةُ الْكِتابِ سَبْعٌ ، وآيَةُ الْكُرْسِىِّ . »

اهـ بنصه ، هذا كلام المناوى

وفى تفسير الخازن : قال الحسن :

(دَواءُ مَنْ أَصابَتْهُ الْعَيْنُ : أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِ هٰذِهِ الْآيَةَ :
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ .
وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ اهـ

وقال العلامة الديربى : [ومما جرب للعين والنظرة أن تكتب هذه السور الثلاث التى ليس فيها كاف ، وهى سورة (والعصر) ، و « لإيلاف قريش) و (قل أعوذ برب الفلق) فى ورقة ، وتعلق على رأس من أصيب بالعين] : اهـ بتصرف .

وفى « المخلاة » أيضاً : (روينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء ، عن النبىّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، قال :

« مَنْ قَالَ فِى كُلِّ يَوْمٍ ، حِينَ يُصبِحُ وَيُمْسِى :
حَسْبِىَ اللّٰهُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ،
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ :
كَفَاهُ اللّٰهُ تَعالَى ما أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ » اهـ .

وفى « سكردان السلطان » لابن أبى حجلة .
قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى :

(إذا كَثُرَتْ هُمُومُكَ ، فَأَكْثِرْ مِنْ :
« لا حَوْلَ وَلا قُوةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِىِّ الْعَظِيمِ » .
وَإذا دُرَّتْ عَلَيْكَ النِّعَمُ ، فَأَكْثِرْ مِنْ :
« الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ » .
وَإذا أَبْطَأَ عَنْكَ الرِّزْقُ ، فَأَكْثِرْ مِنَ الاسْتِغْفارِ ..
وَمَنْ قالَ فِى لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ :
« اَللّٰهُمَّ : أَنْتَ رَبِّى .. لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ،
عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ [1] ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

---

(١) قَوْلُهُ : « وَمَنْ قالَ فِى لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ :
«اللّٰهُمَّ : أَنْتَ رَبِّى..لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ،عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ» الخ =

ما شاءَ اللهُ كانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .
أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .
اللَّهُمَّ : إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِى ،
وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ : أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها ،

= فى « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى ما نصه :
قيل لأبى الدرداء رضى الله عنه : « قد احترقت دارك » ،
وكانت قد وقعت فى محله (١) النار ، فقال : « ما كان الله ليفعل ذلك ! »
فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول : « ما كان الله ليفعل ذلك ! »
ثم أتاه آت فقال : « يا أبا الدرداء : إن النار حين دنت من دارك طفئت » ؛
قال : « قد علمت ذلك » ، فقيل : « ما ندرى : أى قوليك أعجب ؟! »
قال : (إنى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ يَقُولُ هٰؤُلاءِ الْكَلِماتِ فِى لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ :
لَمْ يَضُرَّهُ شَىْءٌ . » وَقَدْ قُلْتُهُنَّ : وَهِىَ :
« اللَّهُمَّ : أَنْتَ رَبِّى . .) الخ » اهـ .
قال العراقى : حديث : قيل لأبى الدرداء الخ أخرجه الطبرانى
فى الدعاء من حديث أبى الدرداء ، وهو حديث ضعيف اهـ ؛
قلت : والضعيف يعمل به فى الفضائل ؛ اهـ مؤلف

(١) المحل : المكان الذى يحل فيه ؛

إنَّ رَبِّى عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (ثَلاثَ مَرَّاتٍ) لَمْ يَضُرَّهُ شَىْءٌ .
وَمَنْ قالَ : سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ [1]

---

(١) قوله « ومن قال سبحان الله وبحمده » الخ ، فى « الإحياء »
دعاء قبيصة ابن المخارق ، إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
« عَلِّمْنِى كَلِماتٍ يَنْفَعُنِى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِها ،
فقَدْ كَبِرَ سِنِّى ، وَعَجَزْتُ عَنْ أَشْياءَ
كَثِيرَةٍ كُنْتُ أَعْمَلُها .
فقال عليه — وعلى آله وأصحابه — الصلاة والسلام :
(أَمَّا لِدُنْياكَ : فَإِذا صَلَّيْتَ الْغَداةَ :
فَقُلْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ
« سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ؛ سُبْحانَ اللهِ الْعَظِيمِ ،
لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ الْعَلِىِّ الْعَظِيم » ،
فَإِنَّكَ إذا قُلْتَهُنَّ : أَمِنْتَ مِنَ الْغَمِّ ،
والْجُذامِ ، والْبَرَص ، والْفالِجِ ..
وَأَمَّا لِآخِرَتِكَ ، فَقُلْ :
« اللَّهُمَّ : اهْدِنِى مِنْ عِنْدِكَ ، وَأَفِضْ عَلَىَّ مِنْ فَضْلِكَ ؛
وانْشُرْ عَلَىَّ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَىَّ مِنْ بَرَكاتِكَ » . =

لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

(ثَلاثَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ)

أَمِنَ مِنْ كُلِّ غَمٍّ ، وَجُذامٍ ، وَبَرَص، وَفالِجٍ » اهـ

وقد روى مرفوعاً ، أن :

(مَنْ قالَ فِى كُلِّ يَوْمٍ :

« اَللّٰهُمَّ : إِنِّى أَسْتَغْفِرُكَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ،

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (إِحْدَى وَسَبْعِينَ مَرَّةً)

رَزَقَهُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ » .)

وحكى العلامة الديربى : أن الغزالى قال :

(إِنَّ آياتِ فُتُوحِ الْقُرْآنِ ، ما حَمَلَها أَحَدٌ :

إِلَّا وَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ ،

= ثُمَّ قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَمَا إِنَّهُ إِذا أَوْفَى بِهِنَّ عَبْدٌ ، لَمْ يَدَعْهُنَّ :

فُتِحَ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَرْبَعَةُ أَبْوابٍ مِنَ الْجَنَّةِ ،

يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ » . اهـ

قال العراقى : (هذا الحديث أخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس ، وهو عند أحمد فى « المسند » مختصراً من قبيصة نفسه ؛ وفيه رجل لم يسم) : اهـ مؤلف

وَهِيَ هٰذِهِ :

١) *(فَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ)* .

٢) *(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)* .

٣) (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ،
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)* .

٤) *(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ،
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)* .

٥) *(إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ)* .

٦ *(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ
وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ)* .

٧) *(وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)* .

٨) *(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ،
فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ)* .

٩) *(رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ .
فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ،
وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)* .

١٠)*(مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا)*

١١) *(حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)* .

١٢)*(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)* ·

١٣) *(وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ،

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) *

١٤) *(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ)* .

١٥) *(نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)* .

١٦) *(وفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا)* .

١٧) *(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ)* اهـ

﴿ المُهِمُّ السَّادِسُ ﴾

في « الجامع الصغير » للجلال السيوطي وكبير المناوي عليه روى الديلمي في « مسند الفردوس » عن أنس بن مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه ، يرفعه :

الْعافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزاءٍ ، تِسْعَةٌ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ : أَيِ : الْكَسْبِ الْحَلالِ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ الْإِنْسانُ ، وَجُزْءٌ فِي سائِرِ الأَشْياءِ ، لِأَنَّ الْمُكْتَسِبَ قائِمٌ بِفَرْضٍ ، مُمْتَثِلٌ أَمْرَ الشَّارِعِ بِالاسْتِغْناءِ عَنِ النَّاسِ ، وَهُوَ مَحْبُوبٌ لِلّٰهِ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ .

ففي الخبر :

« إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ تَعِبًا فِي طَلَبِ الْحَلالِ » .

وفي رواية الديلمي أيضاً :

« اَلْعِبادَةُ عَشَرَةُ أَجْزاءٍ : تِسْعَةٌ مِنْها فِي الصَّمْتِ ، وَالْعاشِرُ : كَسْبُ الْيَدِ مِنَ الْحَلالِ » اهـ .

فينبغي للعاقل أن يختار العافية ، فهي بالأغراض الدينية والدنيوية وافية ؛ فمن عجز واضطر إلى الخلطة ، فليلزم الصمت ؛

وَما أَحْسَنَ الْعُزْلَةَ (١) ،

فَهِيَ لِلعَبْدِ وِلايَةٌ لا يَرَىٰ مَعَها عُزْلَةً) . اهـ .

---

(١) قوله : « فليلزم الصمت ، وما أحسن العزلة الخ » =

وذلك لما روى عن يونس بن عبيد الله قال : (إنى وجدت نفسى تحتمل مؤنة الصيام فى الحر الشديد بالبصرة ، ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها !) وما ذلك إلا لميلها للهوى إلى ما يجاب الآفات .

- أما سمعت قول سهيل رحمه الله تبارك وتعالى :

(جُماعُ الْخَيْرِ كُلُّهُ فِى خِصالٍ أَرْبَعٍ :
إخماصُ الْبُطُونِ ، والصَّمْتُ ، والاعْتِزالُ عَنِ الْخَلْقِ ، وَسَهَرُ اللَّيْلِ ، وَبِها صارَتِ الْأَبْدالُ أَبْدالًا) .
كَما فِى « مِنْهاجِ الْعابِدِينَ » لِلْغَزالِى .

وفى « روض الرياحين » لليافعى عن شقيق البلخى أنه قال :

(طَلَبْنا خَمْسًا ، فَوَجَدْناها فِى خَمْسٍ :
طَلَبْنا تَرْكَ الذُّنُوبِ ، فَوَجَدْناهُ فِى صَلاةِ الضُّحَىٰ ..
وطَلَبْنا ضِياءَ الْقُبُورِ ، فَوَجَدْناهُ فِى صَلاةِ اللَّيْلِ .
وطَلَبْنا جَوابَ مُنْكِرٍ وَنَكِيرٍ ،
فَوَجَدْناهُ فِى قِراءَةِ الْقُرْآنِ ..
وَطَلَبْنا عُبُورَ الصِّراطِ ، فَوَجَدْناهُ فِى الصَّوْمِ والصَّدَقَةِ ..
وطَلَبْنا ظِلَّ الْعَرْشِ ؛ فَوَجَدْناهُ فِى الْخَلْوَةِ ..)

كما فى « شرح الصدور » للسيوطى إهـ

ومن أعظم ذلك الكلمة التى لا تعنيها ، فإنها مجمع خمس آفات :
الأولى : قساوة القلب ، فقد حكى عن مالك بن دينار أنه قال :
(إذا رأيت قساوة فى قلبك ، ووهنا فى بدنك ، وحرمانا
فى رزقك ، فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك) .
الثانية : تضييع الوقت من غير ذكر الله ، وقد قال ابن المقرى :

لَقَدْ ضاعَ عُمْرٌ[1] : ساعَةٌ مِنْهُ تُشْتَرَى
بِمِلْءِ السَّمَا وَالْأَرْضِ : أَيَّةُ ضَيْعَةٍ ؟!

---

(1) قوله « لقد ضاع عمر » الخ قال الشرقاوى فى شرحه على «الحكم» :
(بل لا يمكن أن تقاوم بشىء لعظم قدرها ؛ فإنك تتوصل بها ، إذا اشتغلت
بحق الله تبارك وتعالى فيها ، إلى ملك كبير وشرف عظيم كثير لا يفنى .
ولذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضى الله تبارك وتعالى عنهم
لأنفاسهم ولحظاتهم ، وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ،
ولم يضيعوا أعمارهم فى البطالة والتقصير ، ولم يقنعوا
من أنفسهم لمولاهم إلا بالجد والتشمير ، وفى الحديث :
« ما مِنْ ساعَةٍ تَأْتِى عَلَى الْعَبْدِ لا يَذْكُرُ اللهَ فِيها :
إِلَّا كانتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً وَندامَةً » .
ويقال : إن العبد يوم القيامة تعرض عليه ساعاته فى اليوم والليلة ، فيراها
خزائن مصفوفة أربعة وعشرين خزانة ، فيرى فى كل خزانة نعيماً ولذة ،
جزاء لما كان أودعه فى تلك الخزانة من الأعمال الصالحة ،
والتى لم يعمل فيها شيئاً : يراها فارغة ، فيتحسر ويندم ، حيث
لا ينفعه الندم ، ثم يلقى عليه الرضا والسلوان) . إ ه بتغيير ما . =

ولقد قال شقيق البلخي :

« عُمْرك أمانَةُ اللهِ عِنْدَكَ أَمَّنَكَ عَلَيْها ؛

فَلا تَخُنْ فِى أَمانَتِك بِمَعاصِيه :

أَىْ : وَلا بِلغْوٍ لا ثَمَرَةَ لكَ فِيهِ » .

أما سمعت أن حسان بن أبى سنان مـر على غرفة بنيت ، فقال : « منذ كم بنيت هـذه ؟ » ثم أقبل على نفسه ، وقال : « يا نفسي الغرورة ، تسألين عما لا يعنيك ! » وعاقبها بصوم سنة .

ولقد صدق القائل وأحسن حيث يقول :

وَاغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ فِى اللَّيْلِ إذا كُنْتَ خاليًا مُسْتَرِيحَا

وإذا ما هَمَمْتَ باللَّغوِ فِى الْبا طِلِ فاجْعَلْ مَكانَهُ تَسْبِيحَا

وَلُزُومُ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِن النُّطْقِ ، وَإِنْ كُنْتَ فِى الْكَلامِ فَصِيحَا

- ثم قال صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

« الدُّنْيا : ساعَةٌ ، فاجْعَلْها : طاعَةً » .

ويفسره قول القائل :

ما مَضَى فاتَ ، وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِى أَنْتَ فِيها

أي : فاغتنمها بتسبيح أو بتهليل أو بأى عبادة) : اه مؤلف .

الثالثة : الوقوع فى الغيبة التى هى الصاعقة المهلكة للطاعات ، فقد قيل :

إنَّ مَثَلَ مَنْ يَغْتابُ النَّاسَ :

مَثَلُ مَنْ نَصَبَ منْجَنِيقاً ، فَهُوَ يَرْمِى

بِهِ حَسَناتِهِ : شَرْقاً وَغَرْباً ، يَمِينًا وَشمالًا !

الرابعة : إفساد الشأن ، فقد قال سفيان :

(لا تَتَكَلَّمْ بِلِسانِكَ : ما تَكْسِرُ بِهِ أَسْنانَكَ)

وقال الآخر :

(لَا تبْسُطَنَّ لِسانَكَ ، فَيُفْسِدَ عَلَيْكَ شانَكَ)

وأنشـــدوا :

احْفَظْ لِسانَكَ لا تَقُولُ فَتُبْتَلَىٰ

إنَّ الْبَلاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

وقالوا أيضاً :

جِراحاتُ السِّنانِ لَها الْتِئامُ

وَلا يَلْتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ !

الخامسة : اشتمال اللغو المباح ، فضلاً عن المحظو ،

على أربعة أمور من المفاسد :

أحدها : إيذاء الكرام الكاتبين ، بشغلهما بكتابة

ما لا خير فيه ولا فائدة ،

وقد قال الله تبارك وتعالى :

(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) .

وثانيها : إرسال كتاب إلى الله سبحانه وتعالى من اللغو والهذر ؛
وثالثها : قراءته بين يدى الملك الجبار يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، كما قال ابن المقرى :

فَوَيْكَ ٱسْتَفِقْ لا تَفْضَحَنْهَا بِمَشْهَدٍ
مِنَ الْخَلْقِ إنْ كُنْتَ ٱبْنَ أُمٍّ كَرِيمَةٍ
فَبَيْنَ يَدَيْها مَوْقِفٌ وَصَحِيفَةٌ
يُعَدُّ عَلَيْهَا كُلُّ مِثْقَالِ ذرَّةٍ

ورابعها : اللوم والتعيير بماذا قلت ، وانقطاع الحجة والحياء من رب العزة ، فقد قيل :

« إِيَّاكَ وَالْفُضُول ، فَإِنَّ حِسابَهُ يَطُولُ » .

فانتهز — يا هذا — فرصة العمر ، ومساعدة الدنيا ونفوذ الأمر ،
وقدم لنفسك فى المعاد كما قدموا ،
تذكر كما ذكروا ، وادخر لنفسك كما ادخروا ،
واعلم أن المأكول للبدن ، والموهوب للمعاد ،
والمتروك للعدو ، فاختر أى الثلاثة شئت ، والسلام ؛

﴿ ٱلْمُهِمُّ السَّابِعُ ﴾

كتب العلامة الدسوقى فى حاشـيته على « مغنى اللبيب » لابن هشام على قول الشاعر :

حَسْبُ الْمُحِبِّينَ فِى الدُّنْيا عَـذابُهُمُ

تَـاللهِ لا عَـذَّبَـتْـهُمْ بَعْـدَها سَقَـرُ

ما نصه : (هو كذلك ، وإن كانت المحبة للفاحشة ،
لـكن تعففوا وكتموا ، والحب يحرق القلب كما شوهد) . اهـ .
قال الشيخ عبد الهادى نجـا الإبيارى : (ويشهد له عموم حديث :
« مَنْ عَـشِقَ وَعَـفَّ ، وَكَـتَمَ فَماتَ : مـاتَ شَـهِيدًا . »
وحيث أحرق القلب فى الدنيا بهذه النار ،
فكرم الله تبارك وتعالى يأبى أن يحرق صاحبه بنار جهنم ،
وكون الباعث على الحب الفاحشة لا يستلزم وقوعها ،
بل حصول العـفـة مع انبعاث النفس للشهوة أتم ») . اهـ
قلت : ويشـهـد لـكونه أتم ما ذكـره البخارى
عن أحـد الثـلاثة الذين نزلت عـليهم الصخـرة ،
فتوسـل كل واحـد منهم بـعـمـله الذى عـمـله ،
هيبة من جلال الله تبارك وتعالى ، فـكشف عنهم الصخرة ..
وإذا كان هـذا فى محـبـة المخلوق الصادقة ،
فلا شك أنه فى محبة الله تبارك وتعالى أولى وأحرى ،
فـافـهم تـغـنـم .

﴿ الْمُهِمُّ الثَّامِنُ ﴾

روى عن محمد بن درستويه أنه قال :

(رأيت فى كتاب الإمام الشافعى رضى الله تبارك وتعالى عنه بخطه ما مثاله :

« صَلاةُ الْحاجَةِ ، لِأَلْفِ حاجَةٍ »

عَلَّمَها الْخَضِرُ لِبَعْضِ الْعُبَّادِ :

(يُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ، يَقْرَأُ فِى الْأُولَى :

﴿ فاتِحَةَ الْكِتابِ ﴾ مَرَّةً ،

وَ *(قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ)* عَشْرَ مَرَّاتٍ ،

وَفِى الثَّانِيَةِ : ﴿ فاتِحَةَ الْكِتابِ ﴾ مَرَّةً ،

وَ *(قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ)* عَشْرَ مَرَّاتٍ ،

ثُمَّ يَسْجُدُ بَعْدَ السَّلامِ (1) وَيُصَلِّى عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى سُجُودِهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَيَقُولُ :

---

(1) قوله « ثم يسجد بعد السلام إلخ » لا يقال السجود بدون صلاة ، لم يره الإمام الشافعى رحمه الله تعالى إلا فى سجود التلاوة . لأنا نقول : بلى قد رآه فى سجود الشكر ، وهذا من قبيله ؛ ففى أشباه السيوطى :

(فارق سجود الشكر سجود التلاوة فى أمرين :

أحدهما : أن سجود الشكر لا يدخل الصلاة ، بخلافه .

الثانى : أن فى جوازه على الراحلة وجهين ،

وسجود تلاوة الصلاة يجوز عليها قطعاً اهـ بتصرف) . اهـ مؤلف .

« سُبْحانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ،

وَلا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ ، واللهُ أَكْبَرُ ،

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » عَشْرَ مَرَّاتٍ ،

وَيَقُولُ : *(رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً ،

وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)* عَشْرَ مَرَّات ،

ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ حاجَتَهُ ، تُقْضَىٰ بِإِذْنِ اللهِ) .

وقال الشيخ أبو القاسم الحكيم :

(بعثت إلى فلان العابد رسولا يعلمنى هذه الصلاة ، فعلمنيها ، فصليتها ؛

وسألت من الحكمة ، فأعطانيها ، وقضى لى ألف حاجة) .

قال الحكيم : (فمن أراد أن يصليها فليغتسل ليلة الجمعة ،

ويلبس ثياباً طاهرة ، ويصليها عند السحر ،

وينوى قضاء أية حاجة شاء ، تقضى إن شاء الله) .

وفى آداب الفقيه لـ « أبى القاسم القشيرى »

رحمه الله تبارك وتعالى :

[أن من أراد صلاة الحاجة : يتوضأ لها وضوءاً جديداً ،

ثم يصلى أربع ركعات بتشهدين وسلامين ،

يقرأ فِى الأُولى الفاتحةَ ،

و *(رَبَّنَا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ،

وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)* عَشْرَ مَرَّاتٍ ،

وفى الثانيةِ بعدَ الفاتحةِ :

*(رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي .
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)* عشرًا .

وَفى الثالثةِ بعدَ الفاتحةِ :

*(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ،
وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ ،
إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)* عشرًا .

وفى الرابعةِ بعدَ الفاتحةِ :

*(رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ، وَٱغْفِرْ لَنَا ،
إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)* عشرًا ،

ثُمَّ يَسْجُدُ بَعْدَ الْفَرَاغِ ، وَيَقُولُ فِى سُجُودِهِ :

*(لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ،
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ،
وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) *

إحدى وأربعين مرة ، ثم يسأل حاجته ،
تقضى بإذن الله تبارك تعالى] ؟
أفاد ذلك العلامة الدبرى رحمه الله تبارك وتعالى ؟

وخلاصة كلامه أنها على ثلاث حالات :

الأولى : ركعتان بـ « الكافرون والإخلاص عشرًا عشرًا » ، بعـد الفاتحة ، غير مقيد بليلة الجمعة .

الثانية : ركعتان كذلك ، مقيدة بليـلة الجمعة سحرا .

الثالثة : غير مقيدة بذلك ؛ بل بكونها أربع ركعات بالآيات المذكورة .

وفى السجود بعـد الفراغ يقول فى الحالتين الأوليين خلاف ما يقوله فى الحالة الثالثة كما علمت ؛ والأصل فى ذلك خبرُ (١) :

« كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِه وَصَحْبِـهِ وَسَلَّمَ إذا أَهَمَّهُ أَمْرٌ : فَـزِعَ إِلَى الصَّلاةِ » .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

---

(١) قوله خبر «كان صلى الله عليه وسلم إذا أهمه أمر : فزع إلى الصلاة» وفى تفسير ابن كثير: روى ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار ؛ عن محمد بن أبى عبيد بن أبى قـدامة ؛ عن عبـد العزيز ابن اليمان ، عن حذيفة قال :
« كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَـلَيْـهِ وَسَلَّمَ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ : فَـزِعَ إِلَىٰ الصَّلاةِ » اهـ المراد نقله منه ،
فانظره فى تفسير قوله تبارك وتعالى من سـورة البقرة :
(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) الآية » . اهـ مؤلف

﴿ اَلْمُهِمُّ التَّاسِعُ ﴾

فى « الجامع الصغير » للسيوطى وكبير المناوى :
روى الإمام أحمـــد فى مسنده ،
والترمذى ، وابن ماجه ، عن معقل بن يسار :
(قال صلى الله تبارك وتعالى عليه
وعلى آله وصحبه وسلم :
« الْعِبادَةُ فِى الْهَرْجِ : كَهِجْرَةٍ إِلَىَّ » .
أى : العبادة وقت الفتن واختلاط الأمور
كهجرة إلىّ كثرة الثواب ،
أو يقال : المهاجر فى الأول كان قليلا ؛
لعدم تمكن أكثر الناس من ذلك ؛
فهكذا العابد فى الهرج قليل
قال ابن العربى : (وجه تمثيله بالهجرة أن الزمن الأول
كان الناس يفرون من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله ؛
فإذا وقعت الفتن : تعين على المرء أن يفرّ بدينه من الفتنة إلى العبادة ،
ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة ، وهو أحد أقسام الهجرة .) اهـ

﴿ المُهِمُّ العاشِرُ ﴾

فى « شرح الصدور » للسيوطى : أخرج محمد بن لال وأبو الشيخ فى « الثواب » وابن أبى الدنيا عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

(ما أَدْخَلَ رَجُلٌ عَلى مُؤْمِنٍ سُرُورًا : إِلَّا خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ السُّرُورِ مَلَكًا يَعْبُدُ اللهَ ويُوَحِّدُهُ .

فَإِذا صارَ الْعَبْدُ فِى قَبْرِهِ ، أَتاهُ ذٰلِكَ السُّرُورُ : فَيَقُولُ لَهُ : « أَتَعْرِفُنِى ؟ » فَيَقُولُ لَهُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فَيَقُولُ : « أَنا السُّرُورُ الَّذِى أَدْخَلْتَنِى عَلَىٰ فُلانٍ ؛ أَنا الْيَوْمَ أُونِسُ وَحْشَتَكَ ، وَأُلَقِّنُكَ حُجَّتَكَ ، وَأُثَبِّتُكَ بِالْقَوْلِ الثّابِتِ ، وَأُشْهِدُكَ مَشاهِدَ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَأَشْفَعُ لَكَ ، وَأُرِيكَ مَنْزِلَكَ فِى الْجَنَّةِ » .) اهـ .

وفى « نور اللمعة فى خصائص الجمعة » له أيضاً : أخرج الأصبهانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ صَلَّىٰ بَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ، يَقْرَأُ فِى كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُما بِـ ﴿ فَاتِحَةِ الْكِتابِ ﴾ مَرَّةً ، و ﴿ إِذا زُلْزِلَتِ ﴾ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً : هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ سَكَراتِ الْمَوْتِ ، وَأَعاذَهُ مِنْ عَذابِ الْقَبْرِ ، وَيَسَّرَ لَهُ الْجَوازَ عَلَى الصِّراطِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » اهـ .

﴿ المُهِمُّ الحادِي عَشَرَ ﴾

قال العاملى فى مخلاته : (يقال فى معنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾

إن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فى كل ساعة ستمائة ألف امرأة تحمـــل ، وستمائة ألف حامل تضع ، وستمائة ألف حىّ يموت ، وستمائة ألف ذليل يعزّ ، وستمائة ألف عزيز يذلّ ، وستمائة ألف عتيق لله تبارك وتعالى من النار : يا سلام سلمنا من النار !) وقال قبل ذلك : روى عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما فى قول الله عز وجل :

﴿ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾

قال : (التوبة النصوح : الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإضمار بالقلب أن لا يعود إليه أبداً ، فمجرد الاستغفار باللسان بدون الندم والإضمار المذكورين : ذنب ؛ لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

« الْمُسْتَغْفِرُ بِاللِّسَانِ ، الْمُصِرُّ عَلَىٰ الذَّنْبِ : كَالْمُسْتَهْزِئُ بِرَبِّهِ »

فالواجب على كل مسلم أن يتوب إلى الله تبارك وتعالى فى كل يوم ، حين يصبح ، وحين يمسى . قال مجاهد :

(مَنْ لَمْ يَتُبْ إذا أَمْسَى وأَصْبَحَ : فَهُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (١)

(١) قوله « قال مجاهد : من لم يتب إذا أمسى وأصبح : فهو من الظالمين » أى : لنفسه ، حيث لم يخلصها من وصمة الإصرار بامتثال أمره صلى الله عليه وسلم ، والتأسى به صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم =

= عن الأغر بن يسار المزنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ : تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ ،
فَإِنِّى أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » .

وفيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وعلى آله وصحبه ـ وسلم يقول :

« وَاللهِ : إِنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ
فِى الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » .

ولم يوجه نفسه إلى ما يفرح به مولاه منه الذى أرشده إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ : مِنْ أَحَدِكُمْ ،
سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِى أَرْضٍ فَلَاةٍ ... » الحديث ،

وإلى ما يطلبه مولاه منه ليلا ونهاراً قبل فوات وقته ، فقد روى مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ؛ عن النبىّ صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، قال :

« إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ،
وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ،
حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » . =

وقد قال بعضهم : (إن العبد إذا تاب من الذنوب : صارت الذنوب الماضية كلها حسنات) ؛ كما يشهد بذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ،

فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ،

وكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه الصلاة والسلام :

[يا داوُدُ : مَنْ عَصانِى فَظَنَّ أَنِّى لا أَراهُ : فَقَدْ كَفَرَ ..

وَمَنْ عَصانِى وَعَلِمَ أَنِّى أَراهُ ، فَقَدْ جَعَلَنِى أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ ..

يا داوُدُ : مَنْ عَصانِى وَهُوَ يَعْرِفُنِى :

سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لا يَعْرِفُنِى] .

وكيف تغفل عن الإكثار من : لا إله إلا الله ، وقد قال رسول الله صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

« أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ،

فَإِنَّها مُثَقِّلَةٌ (١) لِلْمِيزانِ ،

= وأخرج الترمذى ، وقال : حديث حسن ، عن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما ؛ عن النبىّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، قال :

« إِنَّ اللّٰهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ : ما لَمْ يُغَرْغِرْ » .

كما فى تفسير الخازن » إهـ مؤلف .

(١) قوله : « فإنها مثقلة للميزان إلخ » فى تفسير ابن كثير :

(قال رسول الله صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

[إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ =

خفيفةٌ عَلَىٰ اللِّسانِ ،
وَتُسَكِّنُ غَضَبَ الرَّحْمٰنِ ،
وَتُذِيبُ الذُّنُوبَ كَما تُذِيبُ النَّارُ الشَّيْءَ » .

= دَعا ٱبْنَيْهِ ، فَقالَ : (إِنِّي قاصٌّ عَلَيْكُما الْوَصِيَّةَ :
آمُرُكُما بِاثْنَتَيْنِ ، وَأَنْهاكُما عَنِ اثْنَتَيْنِ :
أَنْهاكُما عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ ، وَالْكِبْرِ ..
وآمُرُكُما بِـ : « لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ » ؛
فَإِنَّ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ وَما فِيهِما
لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزانِ ،
وَوُضِعَتْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَىٰ :
كانَتْ أَرْجَحَ
ولَوْ أَنَّ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا حَلْقَةً ،
فَوُضِعَتْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَلَيْهِما :
لَقَصَمَتْهُما (.. أَوْ) لَفَصَمَتْهُما ..
وَآمُرُكُما بِـ : « سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ » ؛
فَإِنَّها صَلاةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِها يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ) .] اهـ
الْمُرادُ نَقْلُهُ مِنْهُ) اهـ مؤلف .

اللَّهُمَّ : اغْفِرْ لَنا وَتُبْ عَلَيْنا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .
رَحْمَتَكَ أَرْجُو ، فَلا تَكِلْنِي إِلَىٰ اجْتِهادِي ، فَقَدْ قِيلَ :

إِذا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى   فَأَوَّلُ ما يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهادُهُ

أسألك يا رحمن التوفيق والهداية لأقوم طريق ، وأن تجعل العقل سجيتنا ، واليقين غريزتنا ؛ لنكون ممن تاب فغفرت ذنوبه ، وبقى له فضل يدخل به الجنة ؛ فقد قال نبينا المبعوث رحمة للأمة ، كما رواه أنس عنه :

« ما مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَلَهُ ذُنُوبٌ وَخَطايا يَقْتَرِفُها .. فَمَنْ كانَتْ سَجِيَّتُهُ الْعَقْلَ ، وَغَرِيزَتُهُ الْيَقِينَ : لَمْ تَضُرَّهُ ذُنُوبُهُ » .

قِيلَ : كَيْفَ ذٰلِكَ ، يا رَسُولَ اللهِ ؟

قالَ : « لِأَنَّهُ كُلَّما أَخْطَأَ : لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَتَدارَكَ ذٰلِكَ بِتَوْبَةٍ وَنَدامَةٍ عَلَى ما كانَ مِنْهُ ، فَيَغْفِرُ ذُنُوبَهُ ، وَيَبْقَى لَهُ فَضْلٌ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ » .

هذا ما يسر الله تبارك وتعالى جمعه فى هذه العجالة .

أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، هادياً لأمثالى من أهل الضلالة .

وكان الفراغ من تحريره فى خامس عشر صفر ، ثانى شهور عام ألف وثلاثمائة واثنين وستين من القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية ، على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

والحمد لله تبارك وتعالى أولا وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، فى كل لمحة ونفس ، عدد ما وسعه علم الله تبارك وتعالى الأحد .

١ – رَدُّ الإمام الغزالى

عَلَىٰ جَوابِ الْوَزِيرِ السَّعِيدِ : « نِظامِ الْمُلْكِ » ، جَوابًا عَنْ كِتابِهِ الَّذِى اسْتَدْعاهُ فِيهِ إِلَى بَغْداد ،

يعده فيه بتفويض المناصب الجليلة بها إليه ،
وذلك بعد تزهد الغزالى وتركه تدريس النظامية ، فقال :

[بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ،
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

اعلم أن الخلق فى توجههم إلى ما هو قبلتهم ثلاث طوائف .
إحداها : العوام الذين قصروا نظرهم على العاجل من الدنيا ،
فمقتهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله :

« ما ذِئْبانِ ضارِيانِ فِى زرِيبَةِ غَنَمٍ :
بِأَكْثَرَ إِفْسادًا مِنْ حُبِّ الْمالِ ، والشَّرَفِ ،
فِى دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ . »

ثانيتها : الخواصّ ، وهم المرجحون للآخرة ،
العالمون بأنها خير وأبقى ،
العاملون لها الأعمال الصالحة ،
فنسب إليهم التقصير بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :

« الدُّنْيا : حَرامٌ عَلَىٰ أَهْلِ الآخِرَةِ ،
وَالآخِرَةُ : حَرامٌ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيا ،
وَهُما حَرامانِ عَلَىٰ أَهْلِ اللهِ تَعالَىٰ » .

ثالثتها : الأخصاء ، وهم الذين علموا أن كل شيء فوقه شيء آخر :
فهو من الآفلين ، والعاقل لا يحب الآفلين ،
وتحققوا أن الدنيا والآخرة من بعض مخلوقات الله تبارك وتعالى ،
وأعظم أمورهما الأجوفان : المطعم والمنكح ،
وقد شاركهم فى ذلك كل البهائم والدواب ، فليست مرتبة سنية ،
فأعرضوا عنهما ، وتعرضوا لخالقهما وموجدهما ومالكهما ،
وكشف لهم معنى : * (وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)*
وتحقق عندهم حقيقة :
« لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ »
وأن كل من توجه إلى ما سواه فهو غير خال من الشرك الخفيّ ؛
فصار جميع الموجودات عندهم قسمين :
الله تبارك وتعالى ، وما سواه ،
واتخذوا ذلك كفتىْ ميزان ، وقلبهم لسان الميزان ؛
فكلما رأوا قلوبهم مائلة إلى الكفة الشريفة :
حكموا بثقل كفة الحسنات ،
وكلما رأوها مائلة إلى الكفة الخسيسة :
حكموا بثقل كفة السيئات ؛
وكما أن الطبقة الأولى عوام بالنسبة إلى الطبقة الثانية ،
فكذلك الطبقة الثانية بالنسبة إلى الطبقة الثالثة ،

فرجعت الطبقات الثلاث إلى طبقتين (١) ..

فحينئذ أقول : قد دعانى صدر الوزراء من المرتبة العليا إلى المرتبة الدنيا ..
وأنا أدعوه من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا (٢) التى هى أعلى عليين ،
والطريق إلى الله تبارك وتعالى من بغداد ومن طوس
ومن كل المواضع واحد ، وليس بعضها أقرب من بعض .
فأسأل الله تبارك وتعالى أن يوقظه من نومة الغفلة ،
لينظر يومه لغده ، قبل أن يخرج الأمر من يده ، والسلام] .

---

(١) قوله : « فرجعت الطبقات الثلاث إلى طبقتين »
أى : هما المشار إليهما بقوله تبارك وتعالى :

*(فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ،
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ،
وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ .
فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) *

إ هـ مؤلف المنهج .

(٢) قوله : « فحينئذ أقول قد دعانى صدر الوزراء من المرتبة العليا إلى المرتبة الدنيا ، وأنا أدعوه من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا » الخ
قلت : فمثال الغزالى مع الوزير ، بل ومثال العباد مع خالقهم ،
مثال ملك من ملوك الدنيا دعا رجلا من رعيته أن يجعله كاتب سره ؛
فخاف من مسئوليتها ، إذا بدا منه إفشاء سر من أسرار الملك ، وارتضى أن يكون سائساً لخيل الملك ، يباشر إرواءها . فافهم » إه مؤلف المنهج .

٢ - فائدة مهمة

فى تفسير قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

إعلم - رحمك الله تبارك وتعالى - أن نبينا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، الرحيم بأمته ، بين لها التفكر فى أنفسهم ، الذى أرشدهم الله عزّ وجل إليه ، لتتبصر فى سفرها لمعادها بقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

فى الحديث الذى رواه أبو الشيخ فى « العظمة » ، وابن عدىّ فى « الكامل » ، وأبو نعيم فى « الطب النبوى » عن أبى سعيد الخدرى ، والحكيم الترمذى عن عائشة رضى الله عنها، عن قوله صلى الله عليه وسلم :

« اَلْعَيْنَانِ : دَلِيلَانِ .. وَالْأُذُنَانِ : قُمْعَانِ ..
وَاللِّسَانُ : تَرْجُمَانٌ .. وَالْيَدَانِ : جَنَاحَانِ ..
وَالْكَبِدُ : رَحْمَةٌ .. وَالطِّحَالُ : ضَحِكٌ ..
وَالرِّئَةُ : نَفَسٌ .. وَالْكُلْيَتَانِ : مَكْرٌ ..
وَالْقَلْبُ : مَلِكٌ -
فَإِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ : صَلَحَتْ رَعِيَّتُهُ ..
وَإِذَا فَسَدَ الْمَلِكُ : فَسَدَتْ رَعِيَّتُهُ » .

قال المناوى فى كبيره على الجامع الصغير للسيوطى لما ذكره :
[وسببه أن كعب الأحبار دخل على عائشة رضى الله عنها فقال لها ذلك ، فقالت : (هذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم)] .

قال المناوى : [ومعنى الأذنان قمعان : أنهما يتبعان الأخبار ، ويحدثان القلب ، والقلب هو العالم بالله ، وهو العاقل لله ، وهو الساعى إلى الله ، وهو المتقرب إليه ، وهو المكاشف بما عند الله تبارك وتعالى ولديه ، وإنما الجوارح : أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ، ويستعملها استعمال الملك لرعيته ، والقلب هو المخاطب ، والمعاتب ، والمطالب ، والمعاقب ، وهو المطيع بالحقيقة ، وإنما ينشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله !.. وإنما فواحش الأعضاء : آثاره ، وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ؛

إذ كل وعاء يرشح بما فيه ،

وهو الذى إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه ،

وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه ،

وهو الذى إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه ،

وإذا جهل نفسه جهل ربه ،

ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل !..

وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم ،

وقد حيل بينهم وبين أنفسهم ، فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ، ومعرفة صفاته ، وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين ، وينخفض إلى أفق الشياطين ؛ وكيف يرتفع مرة إلى أعلى عليين ، ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين ؟! ومن ثمّ : من لم يعرف : قلبه ليراقبه ، ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه ، وفيه ، فهو من الّذين ﴿ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، أُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

إذا علمت ذلك فالقلب فى وسط مملكة كالملك ،
وتجرى القوى الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده ؛
إذ تجتمع أخبار المحسوسات عندها ، وتجرى القوى الحافظة
التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى ترجمانه ،
وتجرى الأعضاء المتحركة مجرى كتّابه ،
وتجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه ؛
فيوكل كل واحد بأخبار صقع من الأصقاع -
فيوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ،
والشمّ بعالم الروائح ، وكذا سائرها ؛
فإنها أصحاب أخبار ، يلتقطونها من هذه العوالم ،
ويؤدونها إلى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ،
ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن . وهى القوة الحافظة ،
ويعرضها الخازن على الملك ، فيقتبس منها ما يحتاجه فى تدبير مملكته
وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ، ورفع قواطع طريق سفره إليه ..
فإذا فعل ذلك كان موفقاً سعيداً شاكراً ،
وإذا عطل هذه الجملة واستعملها فى رعاية أعدائه ،
وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة فى عمارة طريقه
التى هى الدنيا ، دون منزله ومستقره ، الذى هو الآخرة :
كان مخذولا شقياً كافراً لنعمة الله تبارك وتعالى ؛
فيستحقّ المقت والإبعاد فى المنقلب والمعاد ...
إذا تدبرت ذلك عرفت أن هذا الحديث ضربه المصطفى صلى الله
تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم مثالا لذلك ، ولله درّه !]
هذا خلاصة كلام المناوى رحمه الله تبارك وتعالى ،
فاغتنمه : تفز فوزاً عظيماً ، والله تبارك وتعالى ولىّ التوفيق .

وتوضيح ما ذكر : أن الإنسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه ،
ومن حيث إنه سلط عليه الغضب والشهوة ،
ومن حيث إنه فى نفسه أمر ربانى كما قال تبارك وتعالى :
﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾
اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف ،
وهى : السبعية ، والبهيمية ، والشيطانية ، والربانية -
وذلك أنه من حيث اختص من البهائم بالتمييز ،
مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة : حصلت فيه شيطانية ،
حتى صار شريراً يستعمل التمييز فى استنباط وجوه الشر ،
ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والخيانة والخداع ،
ويظهر الشر فى معرض الخير ، وهذه أخلاق الشياطين !..
فكل إنسان فيه شوْب من هذه الأصول الأربعة ،
أعنى : الربانية ، والشيطانية ، والسبعية ، والبهيمية ؛
وكل ذلك مجموع فى القلب ، فكأن المجموع فى إهاب الإنسان :
خنزير ، وكلب ، وشيطان ، وحكيم !..
فالخنزير هو الشهوة ، فإن الخنزير إنما ذم لجشعه
وكلبه وحرصه ، والكلب هو الغضب ، فإن السبع الضارى
والكلب العقور إنما ذما واتقيا للضراوة والعدوان والعقر ..
وفى باطن الإنسان : ضراوة السبع وغضبه ، وحرص الخنزير وشبقه ؛
فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر !..
والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء !..
والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغضب السبع ،
ويغرى أحدهما بالآخر ، ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه !..

والحكيم الذى هو مثال العقل : مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره ،
بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ؛ ونوره المشرق الواضح ،
وأن يكسر شرَهَ هـذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ؛
إذ بالغضب يكسر سوْرَة الشهوة ، ويدفع ضراوة الكلب
بتسليط الخنزير عليه ، ويجعل الكلب مقهوراً تحت سياسته ؛
فإذا فعل ذلك وقدر عليه : اعتدل الأمر وظهر العدل فى مملكة البدن ،
وجـرى الكل على الصراط المستقيم . .
وإن عجز عن قهرها : قهروه ، واستخدموه ؛
فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ،
ليشبع الخنزير ويرضى الكلب ، فيكون دائماً فى عبادة كلب وخنزير !..
وهـذا حال أكثر الناس ، مهما كان :
أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء .
والعجب منه أنه مع ذلك ينكر على عبدة الأوثان عبادتهم
الحجارة ، ولو كشف الغطاء عنه ، وكوشف بحقيقة حاله
كما يمثل للمكاشفين - إما فى النـوم أو فى اليقظة -
لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ، ساجداً له مرة ؛ وراكعاً أخرى ،
ومنتظراً لإشارته وأمره ؛ فمتى هاج الخنزير لطلب شئ من شهوته :
انبعث على الفور فى خدمته وإحضار شهوته ..
أو رأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور ،
عابداً له مطيعاً ، سامعاً لما يقضيه ويلتمسه ،
مدققاً بالفكر فى حيل الوصول إلى طاعته -
وهو بذلك فى مسـرة شيطانية ،
فإنه الذى يهيج الخنزير ، ويثير الكلب ، ويبعثهما على استخدامه ؛
فهو من هذا الوجه : يعبد الشيطان بعبادتهما !..

فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه ،
وقيامه وقعوده ، ولينظر بعين البصيرة ، فلا يرى
– إن أنصف نفسه – إلا ساعياً طول النهار فى عبادة هؤلاء !..
وهذا غاية الظلم ؛ إذ جعل المالك مملوكاً ، والرب مربوباً ،
والسيد عبداً ، والقاهر مقهوراً ؛ إذ العقل هو المستحق للسيادة
والقهر والهيمنة والاستيلاء ، وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة ؛
فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة : صفات تتراكم عليه ،
حتى يصير طابعاً ورينا مهلكاً للقلب ، مميتاً له ؛
فإنه يصدر من طاعة خنزير الشهوة : صفة الوقاحة والخبث
والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص
والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها !..
ويصدر من طاعة كلب الغضب : صفة التهور والنذالة والبدع
والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف
وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها !..
ويصدر من طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب :
صفة : المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرأة
والتلبيس والتضريب والغش والحب والخنا وأمثالها !..
وجملة الأمر : أنه قد صار بذلك عابداً غير مولاه الذى خلقه وغمره
بمعروفه ونعمه حتى صار مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص
ماله بورق أو ذهب ، فجعل العبد يعمل ويؤدى غلته لغير سيده .
فيا أيها الإنسان : أيسرّك أن يكون عبدك كذلك !؟..
وإذا لم يسرّك ذلك من عبدك ،
فكيف يصدر منك مثله مع مولاك الذى خلقك ورزقك ،
وغمرك بمعروفه ونعمه وتولاك ؟!..

فلو عكست الأمر ، وقهرت الجميع تحت سيادة الصفة الربانية ،
لاستقـر فى القلب من الصفات الربانية :
العلم ، والحكمة ، واليقين ، والإحاطة بحقائق الأشياء ،
ومعرفة الأمور على ما هى عليه ، والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة ،
واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله.
وكشف للقلب معنى ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾
وتحققت فيه وعنده حقيقة : « لا إله إلا الله » ،
وأن كل من توجه إلى ما سواه فهو غير خال من الشرك الخفىّ
الذى أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله
تبارك وتعالى عنه بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :
(اَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ،
وسَأَدُلُّكَ عَلَىٰ شَىْءٍ إذا قُلْتَهُ :
أَذْهَبَ عَنْكَ صِغَارَ الشِّرْكِ وَكِبارَهُ . تَقُولُ :
« اَللَّهُمَّ : إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنا أَعْلَمُ ،
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِما لا أَعْلَمُ » . تَقُولُها ثَلاثَ مَرَّاتٍ) .
كما أخرجه عنه الحكيم الترمذى ، والإمام أحمد فى « المسند » ،
وأبو نعيم فى « الحلية » .
أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا وإياك لما فيه رضاه .
هـذا خلاصة ما فى إحياء الغزالى رحمه الله تبارك تعالى ،
بزيادة من تفسير ابن كثير و « الجامع الصغير » للسيوطى ،
والله سبحانه وتعالى أعلم .

٣ - رغبة « عنوان البصرى » فى التقرب من :
الإمام « جعفر بن محمد الصادق »

قال فى الكشكول من خط سيبويه عن « عنوان البصرى » ،
وكان شيخاً قد أتى عليه أربع وتسعون سنــة ،
قال : (كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين ،
فلما قدم جعفر بن محمد الصادق رضى الله تبارك وتعالى عنهما (١)
اختلفت إليه ، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك ،
فقال لى يوما : « إنى رجل مطلوب ، ومع ذلك لى أوراد فى كل ساعة

(١) قوله : « فلما قدم جعفر بن محمد الصـــادق » الخ
فى شرح الزرقانى على الموطأ :
« هو جعفر الصادق ؛ لصدقه فى مقاله ، ابن محمد الباقر
ابن على بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب الهاشمى المدنى ،
الفقيه الصدوق ، الإمام المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة ،
ذكر مصعب الزبيرى عن مالك قال :
(اختلفت إلى جعفر بن محمد زمانا ،
فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال :
إما مصلّ ، وإما صائم يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ،
وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ،
وكان من العلماء الزهاد الذين يخشون الله تبارك وتعالى ..
ولقد حججت معه سنة ، فلما أتى الشجرة أحرم ،
فلما أراد أن يهلّ كاد يغشى عليه ،
فقلت له : « لا بد لك من ذلك » ؛

فى آناء الليل وأطراف النهار ، فلا تشغلنى عن وردى ،
وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف » ،
فاغتممت من ذلك ، وخرجت من عنده ، وقلت فى نفسى :
لو تفرّس فىّ خيراً ما زجرنى عن الاختلاف إليه والأخذ عنه ،
فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسلمت عليه ،
ثم رجعت من الغد إلى الروضة ، وصليت فيها ركعتين .
وقلت : أسألك يا ألله يا ألله أن تعطف علىّ قلب جعفر ،
وترزقنى من علمه ما أهتدى به إلى صراطك المستقيم ..
ورجعت إلى دارى مغتماً ، ولم أختلف إلى مالك بن أنس ،
لما أشرب قلبى من حب جعفر ؛
فما خرجت من دارى إلا للصلاة المكتوبة حتى عيل صبرى ،
فلما ضاق صدرى تنعلت وترديت وقصدت جعفراً ،
وكان بعد ما صليت العصر ، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه ،
فخرج خادم له ، فقال : ما حاجتك ؟
فقلت : السلام على الشريف . فقال : هو قائم فى مُصلاه ،
فجلست بحذائه ، فما لبث إلا يسيراً إذ خرج
فقال : « ادخل على بركة الله » ،
فدخلت وسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام ،
وقال : « اجلس ، غفر الله لك » ،
فجلست ، فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه وقال : « أبو من ؟ »
قلت : أبو عبد الله ،
قال : « ثبت الله كنيتك ، ووفقك يا أبا عبد الله ، ما مسألتك ؟ »
فقلت فى نفسى : لو لم يكن لى فى زيارته

والتسليم عليه غير هــذا الدعاء لكان كثيراً ،

ثم رفع رأسه فقال : « ما مسألتك ؟ »

قلت : سألت الله أن يعطف على قلبك ، ويرزقني من علمك ،

وأرجو أن الله تبارك وتعالى أجابني في الشريف ما سألته ،

فقال : « يا أَبا عَبْد اللهِ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ،

وَإِنَّما هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبِ

مَنْ يُرِيدُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ أَنْ يَهْدِيَهُ ..

فَإِنْ أَرَدْتَ الْعِلْمَ ،

فاطْلُبْ فِي نَفْسِكَ أَوَّلًا حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ ،

واطْلُبِ الْعِلْمَ بِاسْتِعْمالِهِ ،

وَاسْتَفْهِمِ اللهَ يُفَهِّمْكَ » .

قُلْتُ : يا شَرِيفُ ، قالَ : « قُلْ يا أَبا عَبْدِ الله » ،

قُلْتُ : يا أَبا عَبْدِ اللهِ ، ما حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ ؟

قالَ : « ثَلاثَةُ أَشْياءَ : أَنْ لا يَرَى الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ

فِيما خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكًا ،

لِأَنَّ الْعَبِيدَ لا يَكُونُ لَهُمْ مِلْكٌ ،

يَرَوْنَ الْمالَ مالَ اللهِ ،

يَضَعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ بِهِ ..

وَلا يُدَبِّرُ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ تَدْبِيرًا ،

وَجَعَلَ اشْتِغالَهُ فِيما أَمَرَهُ اللهُ تَعالَىٰ بِهِ وَنَهاهُ عَنْهُ ..

فَإِذا لَمْ يَرَ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيما خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكًا :

هانَ عَلَيْهِ الإِنْفاقُ فِيما أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُنْفِقَ فِيهِ ..

وَإِذا فَوَّضَ الْعَبْدُ تَدْبِيرَ نَفْسِهِ إِلَى مُدَبِّرِهِ :

هانَ عَلَيْهِ مَصائِبُ الدُّنْيا ..

وَإِذا اشْتَغَلَ الْعَبْدُ بِما أَمَرَهُ اللهُ وَنَهاهُ :

لا يَتَفَرَّغُ مِنْها إِلَى الْمِراءِ وَالْمُباهاةِ مَعَ النَّاسِ ..

فَإِذا أَكْرَمَ اللهُ الْعَبْدَ بِهٰذِهِ الثَّلاثَةِ :

هانَ عَلَيْهِ الدُّنْيا ، وَإِبْلِيسُ ، وَالْخَلْقُ (١) ،

---

(١) قوله : « فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة :
هان عليه الدنيا ، وإبليس ، والخلق » الخ ..
قلت : لأن بها يتحقق بالعبودية ،
ومن تحقق بها : تطهرت أفعاله من الرياء ، وأحواله من الدعاوى ،=

وَلا يَطْلُبُ الدُّنْيا تَكاثُرًا وَتَفاخُرًا ،
وَلا يَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ النَّاسِ عِزًّا وَعُلُوًّا ،

= وأقواله من الافتراء ، وذلك لأنه حينئذ تكاشفه العظمة ..
ومن كاشفته العظمة سهل عليه أولا : ترك المعارف ،
ومن ترك المعارف : كيف يكون مرائياً ؟!
وثانياً : حيرته الجلالة حتى غاب بشهود الجلال الأعظم والجمال
عن كل حال من الأحوال الربانية الموصلة ،
واستغنى عنها بذلك الشهود ،
ومن غاب عنها كيف يكون مدعياً ؟!
وثالثاً : كاشفته خشية اللاهوت ،
وأوقفته فى مقعد صدق رهيناً كالمبهوت ،
ومن كاشفته تلك الخشية :
طرح الصدق مع مباينة ذلك الموقف ،
فكيف يكون مفترياً ، وهو لا حال له ولا صدق ،
بل فنى عن فعله ، فقال : لا فاعل إلا الله ،
ثم فنى عن صفته فقال : ما فى الحقيقة حيّ إلا الله ،
ثم فنى عن ذاته فقال : لا موجود إلا الله ،
ففاز ، وجاز ووصل ، لأن من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ،
ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ،
ومن شهدهم عين العدم فقد وصل » اهـ .
من شرح العارف بالله شهاب الدين أحمد باعشن لـ «أنس الوحيد
ونزهة المريد » من كلام أبي مدين ملخصاً اهـ مؤلف المنهج .

وَلا يَدَعُ أَيَّامَهُ باطِلًا ، فَهٰذِهِ أَوَّلُ دَرَجَةِ التُّقَىٰ ،
قال الله تَبارَكَ وَتَعالَى :
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

قُلْتُ : يا أَبا عَبْدِ اللهِ ، أَوْصِنِي .

قالَ : « أُوصِيكَ بِتِسْعَةِ أَشْياءَ ،
فَإِنَّها وَصِيَّتِي لِمُرِيدِي الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ .
أَسْأَلُهُ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِاسْتِعْمالِها :
ثَلاثَةٌ مِنْها فِي رِياضَةِ النَّفْسِ ،
وَثَلاثَةٌ مِنْها فِي الْحِلْمِ ،
وَثَلاثَةٌ مِنْها فِي الْعِلْمِ ،
فاحْفَظْها ، وَإِيَّاكَ وَالتَّهاوُنَ بِها . »

قالَ عُنْوانُ : فَفَرَّغت قَلْبِي لَهُ ،
فقال : « أَمَّا اللَّواتِي فِي الرِّياضَةِ ،
فَإِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ ما لا تَشْتَهِيهِ ،
فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحَماقَةَ والْبَلَهَ ..
وَلا تَأْكُلْ إِلَّا عِنْدَ الْجُوعِ ..

وَإذا أَكَلْتَ فَكُلْ حَلالًا ،

وَسَمِّ اللهَ [تَبارَك وَتَعالَىٰ] ،

واذْكُرْ حَديثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ما مَلأَ آدَمِيٌّ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، فَإِنْ كانَ وَلا بُدَّ :

فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ .

وَأَمَّا اللَّواتِي فِي الْحِلْمِ ، فَمَنْ قالَ لَكَ :

« إِنْ قُلْتَ واحِدَةً سَمِعْتَ عَشْرًا » ،

فَقُلْ لَهُ : « إِنْ قُلْتَ عَشْرًا ، لَمْ تَسْمَعْ واحِدَةً » ..

وَمَنْ شَتَمَكَ ، فَقُلْ لَهُ : « إِنْ كُنْتَ صادِقًا فِيما تَقُولُ ،

فَأَسْأَلُ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ أَنْ يَغْفِرَ لِي ..

وَإِنْ كُنْتَ كاذِبًا فِيما تَقُولُ ،

فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ » .

وَمَنْ وَعَدَكَ بِالْخَنا ، فَعِدْهُ بِالنَّصِيحَةِ والدُّعاءِ ..

وَأَمَّا اللَّواتِي فِي الْعِلْمِ ،

فاسْأَلِ الْعُلَماءَ ما جَهِلْتَ ..

وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ تَعَنُّتًا وَتَجْرِبَةً !

وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِكَ شَيْئًا ..

وَخُذْ بِالاحْتِياطِ فِى جَمِيعِ ما تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ..
واهْرُبْ مِنَ الْفُتْيا هُرُوبَكَ مِنَ الْأَسَدِ ..
وَلا تَجْعَلْ رَقَبَتَكَ لِلنَّاسِ جِسْرًا ..
قُمْ عَنِّى يا أَبا عَبْدِ اللهِ ، فَقَدْ نَصَحْتُ لَكَ ،
وَلا تُفْسِدْ عَلَىَّ وِرْدِى ، فَإِنِّى امْرُؤٌ ضَنِينٌ بِنَفْسِى .
والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

(فائدة) فى إحياء علوم الدين للإمام الْغزَّالى،

قيل لإبراهيم بن أدهم :
ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ،
وقد قال الله تبارك وتعالى :

﴿ أُدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

قالَ : « لِأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَيِّتَةٌ » .
قِيلَ : وما الَّذِى أَماتَها ؟
قالَ : « ثَمانِ خِصالٍ :
عَرَفْتُمْ حَقَّ اللهِ ،
وَلَمْ تَقُومُوا بِحَقِّهِ !..
وَقَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ ،
وَلَمْ تَعْمَلُوا بِحُدُودِهِ !..

وَقلتُمْ : نُحِبُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَمْ تَعْمَلُوا بِسُنَّتِه !..
وَقُلْتُمْ : نَخْشَى الْمَوْتَ !..
وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا لَهُ !..

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ، فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾
فَواطَأْتُمُوهُ عَلَى الْمَعاصى !..
وَقُلْتُمْ : نَخافُ النَّارَ ،
وَأَرْهَقْتُمْ أَبْدانَكُمْ فيها ..
وَقُلْتُمْ : نُحِبُّ الْجَنَّةَ ،
وَلَمْ تَعْمَلُوا لَها !..
وَإِذا قُمْتُمْ مِنْ فُرُشِكُمْ : رَمَيْتُمْ عُيُوبَكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ ،
وافْتَرَشْتُمْ عُيُوبَ النَّاسِ أَمامَكُمْ ؛
فَأَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ؛
فَكَيْفَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ ؟

[بحمد الله تبارك وتعالى قد تم طبع كتاب
(منهج الفوز الصحيح ببيان سبيل التوبة النصوح)]

• • •